

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٥ - سُورَةُ الْقِيَامَةِ

قال المهاجري : سميت به لتضمنها غاية تعظيم ذلك اليوم ، من لا يتناهى ثوابه وعقابه ،
بحيث تمحسر فيه كل نفس من تقصيرها ، وإن عملت ما عملت .
وهي مكية . وآيها أربعون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)

[٢] (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ)

« لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ » قال القاشاني : جمع بين القيامة والنفس اللوامة ، في القسم بهما ، تعظيماً لشأنهما ، وتناسباً بينهما . إذ النفس اللوامة ، هي المصدقة بها ، المقرة بوقوعها ، المهيئة لأسبابها ، لأنها تلوم نفسها أبدأً في التقصير ، والتقاعد عن الخيرات ، وإن أحسنت ، لحرصها على الزيادة في الخير ، وأعمال البر ، تيقننا بالجزاء ، فكيف بها إن أخطأت وفرطت وبدرت منها بادرة غفلة ونسيانا .
ومر الكلام على (لَا أُقْسِمُ) في موافقه قبل هذا فتذكر . وحذف جواب القسم لدلالة قوله :

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣] (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ)

[٤] (بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ)

« أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ » عليه ، وهو لتبعثن . قال القاشاني : المراد بالقيامة ، ههنا ، الصغرى ، لهذه الدلالة بعينها .
« بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ » أى بلى ! نجمع عظامه ، قادرين تسوية بنانه التي هي أطراف خلقته وتماها ، على صغرها ولطاقتها ، وضم بعضها إلى بعض ، فكيف بكبار العظام ؟ !

القول في تأويل قوله تعالى :

[٥] (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرًا أَمَامَهُ)

« بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرًا أَمَامَهُ » أى ليدوم على الفجور، فيما يستقبله من الزمان، ولا يثنيه عنه شيء ، ولا يتوب منه أبداً .

قال الشهاب : (أَمَامَهُ) ظرف مكان ، استعير هنا للزمان المستقبل ، فيفيد الاستمرار . والضمير للإنسان ، أو ليوم القيامة . وقيل الدوام والاستمرار ، لأنه خبر عن حال الفاجر ، بأنه يريد ليفجر في المستقبل . على أن إرادته وحسابه هما عين الفجور . وفي إعادة المظهر مالا يخفى من التهديد ونمى قبيح ما ارتكبه ، وأن الإنسانية تأباه . وقيل : حمله على الاستمرار ليصح الإضراب ، ويصير المعنى : بل يريد الإنسان أن يستمر على فجوره ، ولا يتوب ، فلذا أنكر البعث .

وقال القاشاني : أى ليدوم على الفجور بالليل إلى اللذات البدنية ، والشهوات الهيمية ، غارزا رأسه فيها ، فيما بين يديه من الزمان الحاضر والمستقبل ، فيغفل عن القيامة لقصور نظره عنها ، وكونه مقصوراً على اللذات العاجلة ، وفرط تهالكه عليها ، واحتجابه بها عن الآجلة ، سائلاً عنها ، متمتعاً مستبعداً بإياها ، كما قال سبحانه :

القول في تأويل قوله تعالى :

[٦] (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ)

[٧] (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ)

[٨] (وَخَسَفَ الْقَمَرُ)

[٩] (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)

[١٠] (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ)

[١١] (كَلَّا لَا وَزَرَ)

[١٢] (إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ)

[١٣] (يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ)

« يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ » أى متى يكون ؟ استبعاداً وهزواً . والجملة استئناف أو حال أو تفسير لقوله (يفجر) ، أو بدل منه والاستئناف بياني ، كأنه قيل : لم يريد الدوام على الفجور ؟ قيل : لأنه أنكر البعث واستهزأ به « فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ » أى تحير ودهش . أى لما أتى من أمر الله . قال مجاهد : أى عند الموت . « وَخَسَفَ الْقَمَرُ » أى ذهب ضوءه « وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ » أى جمع بينهما فى ذهاب الضوء ، فلا ضوء لواحد منهما . وقيل : إنها يجعلان ثم يكوران ، كما قال جل ثناؤه ^(١) (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال ابن زيد : جمعا فرمى بهما فى الأرض . « يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ » أى الفرار . أى يطلب مهرباً ومحيصاً لدهشته ، أو يقوله قول الآيس لعلمه بأنه لا قرار حينئذ . « كَلَّا » ردع له عن طلب الفر ، « لَا وَزَرَ » أى لا ملجأ . « إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ » أى مستقر العباد ، من نار أو جنة . أى مفوض إليه لا إلى غيره مستقرهم ، أو استقرار أمرهم ، والحكم فيهم « يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ » أى من عمله الذى يوجب نجاته وثوابه ، من الخيرات والصالحات ، « وَأَخَّرَ » أى منه ففرط وقصر فيه ولم يعمل .

قال الشهاب : (مَا قَدَّمَ) كناية عما عمل ، و (مَا أَخَّرَ) ما تركه ولم يعمل . وهو مجاز مشهور فيما ذكر . أو ما قدمه ، ما عمله ، وما أخره ، عمل من اقتدى به بعده عملاً له ، كأنه وقع منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٤] (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)

[١٥] (وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ)

« بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ » قال القاشاني : أى حجة بينة ، يشهد بعمله ، لبقاء هيئات أعماله المكتوبة عليه في نفسه ، ورسوخها في ذاته ، وصيرورة صفاته صوراً لأعضائه ، فلا حاجة إلى أن ينبأ من خارج .

قال الشهاب : (بَصِيرَةٌ) مجاز عن الحجة الظاهرة . أو (بَصِيرَةٌ) بمعنى بينة ، وهى صفة لحجة مقدرة . وجعل الحجة بصيرة لأن صاحبها يبصر بها ، فلا إسناد مجازى . أو هى بمعنى دالة مجازاً . أو هو استعمارة مكنية وتخيلية . و (الْإِنْسَانُ) مبتدأ ، و (بَصِيرَةٌ) خبره ، و (عَلَىٰ) متعلق به . والتأنيث للمبالغة ، أو لكونه صفة (حجة) .

« وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ » أى ولو ألقى أعذاره مجادلاً عن نفسه بكل معذرة . وفيه إشارة إلى أن ما عليه المشركون من الشرك وعبادة الأوثان ، وإنكار البعث ، منكر باطل ، تنكره قلوبهم ، وأنهم في دفاعهم يجادلون بالباطل . ولا غرو أن ينكر القلب ما تدفعه انقطة السليمة ، والدين دين الفطرة .

قال الشهاب : شبه المجيء بالمعذر بإلقاء الدلو في البئر للاستقاء به ، فيكون فيه تشبيه لذلك بالماء المروى للعطش .

وقوله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٦] (لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ)

[١٧] (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)

[١٨] (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ و)

[١٩] (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ و)

« لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ » أى لا تحرك بالقرآن لسانك عند إلقاء الوحي ،
لتأخذه على عجلة ، مخافة أن يتفلسف منك . « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ و » أى فى صدرك ، وإثبات
حفظه فى قلبك ، بحيث لا يذهب عليك منه شىء . « وَقُرْآنَهُ و » أى أن تقرأه بعد فلا تنسى
« فَإِذَا قَرَأْنَاهُ » أى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام ، « فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ و »
أى كن مقفياً له ولا ترأسه . « ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ و » أى بيان ما فيه ، إذا أشكل عليك
شىء من معانيه ، أو أن نبينه على لسانك .

تنبيهات :

الأول - ما ذكرناه فى تأويل الآية هو المأثور فى الصحيحين وغيرها . ولفظ البخارى^(١)

عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يحرك شفطيه إذا أنزل عليه ،
ف قيل له (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ) يخشى أن يتفلسف منه (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ و) أن نجمله
فى صدرك (وَقُرْآنَهُ و) أن تقرأه (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ) يقول أنزل عليه (فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ و * ثُمَّ إِنَّ
عَلَيْنَا بَيَانَهُ و) أن نبينه على لسانك . زاد فى رواية : فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك ، إذا أتاه
جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل ، قرأه النبى ﷺ كما قرأه .

قال ابن زيد : أى لا تسكلم بالذى أوحينا إليك ، حتى يقضى إليك وحيه ، فإذا قضينا
إليك وحيه ، فتكلم به . يعنى : أن هذه الآية نظير قوله تعالى^(٢) (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ أَنْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) .

(١) أخرجه البخارى فى : ١ - كتاب بدء الوحي ، ٤ - حدثنا موسى بن إسماعيل ،

(٢) [٢٠ / طه / ١١٤] .

حديث رقم ٥٠

قال ابن كثير : وهكذا قال الشعبي والحسن البصري وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد؛ أن هذه الآية نزلت في ذلك، وأنها تعلم من الله عز وجل لرسوله، كيفية تلقيه الوحي.

الثاني - ذكروا في مناسبة وقوع الآية معترضة في أحوال القيامة - على تأويلهم المتقدم - وجوهاً :

منها - تأكيد التوبيخ على ما جبل عليه الإنسان - والمرء مفتون بحب العاجل - حتى جعل مخلوقاً من عجل . ومن محبة العاجل ، وإثارة على الآجل ، تقديم الدنيا الحاضرة على الآخرة ، الذي هو منشأ الكفر والعناد ، المؤدى إلى إنكار الحشر والمعاد . فالنهي عن العجلة في هذا يقتضي النهي فيما عداه ، على آكد وجه . وهذه مناسبة تامة بين ما اعترض فيه وبينه .

قاله الشهاب .

ومنها - أن عادة القرآن ، إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد ، حيث يعرض يوم القيامة ، أرفده بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركاً ، كما قال في الكهف ^(١) (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ) إلى أن قال ^(٢) (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ) الآية . وقال في طه ^(٣) (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) إلى أن قال ^(٤) (فَتَعْلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) .

ومنها - أن أول السورة لما نزل إلى قوله (وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ) صادف أنه ﷺ في تلك الحالة بادر إلى تحفظ الذي نزل ، وحرك به لسانه من عجلته خشية من تفلته ، فنزلت (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ) إلى قوله (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) ثم عاد الكلام إلى تسكئة ما ابتدأ به .

قال الفخر الرازي : ونحوه ما لو ألقى المدرس على الطالب مثلاً مسألة ، فتشاغل الطالب بشيء عرض له فقال له : ألقى إليك بالك ، وتفهم ما أقول . ثم كمل المسألة . فن لا يعرف

(١) [١٨ / الكهف / ٤٩] . (٢) [١٧ / الإسراء / ٨٩] .

(٣) [٢٠ / طه / ١٠٣] . (٤) [٢٠ / طه / ١١٤] .

السبب يقول : ليس هذا الكلام مناسباً للمسألة ، بخلاف من عرف ذلك - قاله الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) - .

الثالث - استدلووا على التأويل السابق بقوله تعالى (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب ، كما هو مذهب الجمهور لما تقتضيه (ثم) من التراخي . وأول من استدلل لذلك بهذه الآية القاضي أبو بكر بن الطيب ، وتبعوه . وهذا لا يتم إلا على تأويل البيان بتبيين المعنى ، وإلا فإذا حمل على أن المراد استمرار حفظه له ، وظهوره على لسان ، فلا . قال الآمدى : يجوز أن يراد بالبيان الإظهار ، لا بيان المجهول . يقال (بأن الكوكب إذا ظهر) قال : ويؤيد ذلك أن المراد جميع القرآن ، والمحمل إنما هو بعضه ، ولا اختصاص بالأمر المذكور دون بعض .

وقال أبو الحسين البصرى : يجوز أن يراد البيان التفصيلى ، ولا يلزم منه جواز تأخير البيان الإجمالى ، فلا يتم الاستدلال . وتعقب باحتمال إرادة المعنيين : الإظهار والتفصيل وغير ذلك ، لأن قوله (بيانه) جنس مضاف ، فيعم جميع أصنافه من إظهاره وتبيين أحكامه ، وما يتعلق بها من تخصيص وتقييد ونسخ وغير ذلك - قاله الحافظ في (الفتح) - .

وجوز القفال أن تكون (ثم) للترتيب في الأخبار . أى ثم إنا نخبرك بأن علينا بيانه ، فلا تدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب . وضعفه الرازى بأنه ترك للظاهر من غير دليل .
الرابع - ما قدمناه من معنى قوله تعالى : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ) الخ ، وما استفيد منه ، وما قيل في مناسبته لما قبله ، كله إذا جرى على المأثور فيها . وحاول القفال معنى فقال كما نقله عنه الرازى :- إن قوله تعالى (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ) ليس خطاباً مع الرسول ﷺ بل هو خطاب مع الإنسان المذكور في قوله ^(١) (يُدَبِّرُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَ يُدْمَرُ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) فكان ذلك حال ما ينبأ بقبائح أفعاله ، وذلك بأن يعرض عليه كتابه فيقال له ^(٢) (أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) . فإذا أخذ في القراءة تاجاج لسانه من شدة الخوف ،

(١) [٧٥ / القيامة / ١٣] . (٢) [١٧ / الإسراء / ١٤] .

وسرعة القراءة ، فيقال له (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمَاجِلَ بِهِ) فإنه يجب علينا بحكم الوعد ، أو بحكم الحكمة ، أن نجتمع أعمالك عليك ، وأن نقرأها عليك ، فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه ، بالإقرار بأنك فعلت تلك الأفعال . ثم إن علينا بيان أمره ، وشرح مراتب عقوبته . وحاصل الأمر من تفسير هذه الآية : أن المراد منه ؛ أنه تعالى يقرأ على الكافر جميع أعماله ، على سبيل التفصيل . وفيه أشد الوعيد في الدنيا ، وأشد التهويل في الآخرة . ثم قال القفال : فهذا وجه حسن ، ليس في العقل ما يدفعه ، وإن كانت الآثار غير واردة به . انتهى .

ونقل الشهاب أن بعضهم ارتضى هذا الوجه ، وقدمه على الوجه السابق . وزعم الحافظ ابن حجر أن الحامل على هذا الوجه الأخير هو عسر بيان المناسبة بين هذه الآية وما قبلها من أحوال القيامة . أى ولما بين الأئمة المناسبة التي أثنوا عليها ، لم يبق وجه للذهاب إلى هذا الوجه الأخير ، مع أن هذا الوجه - هو فيما يظهر - فيه غاية القوة والارتباط بما قبله وما بعده ، مما يؤثر على المأثور ، الذي قد يكون مدرکه الاجتهاد ، والوقوف مع ظاهر ألفاظ الآية . ومما يؤيده ما أورد عليه أن ابن عباس لم ير النبي ﷺ في تلك الحال ، لأن الظاهر أن ذلك كان في مبدأ البعث النبوي ، ولم يكن ابن عباس وُلد حينئذ . ولا مانع - كما قال ابن حجر - أن يخبر النبي ﷺ بذلك بعد ، فيراه ابن عباس ، أو يخبر به ، فيكون من مراسيل الصحابة - والله أعلم - .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٠] (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ)

[٢١] (وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ)

[٢٢] (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ)

[٢٣] (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)

[٢٤] (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ)

[٢٥] (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ)

« كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ » أى الدنيا العاجلة ، بإيثار شهواتها . « وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ » أى بالإعراض عن الأعمال التى تورث منازلها ، أو تنسون الآخرة ووعيدها ، وهول حسابها وجزائها . « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ » أى حسنة جميلة من النعيم « إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » أى مشاهدة إياه ، ترى جمال ذاته العلية ، ونور وجهه الكريم ، كما وردت بذلك الأخبار والآثار عن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه . « وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ » أى كالحلة ، لجهامة هيأتها ، وهول ما تراه هناك من الأحوال ، وأنواع العذاب والخسران . « تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ » أى داهية تفصم فقار الظهر ، لشدتها وسوء حالها ووبالها . وشتان ما بين المرتبتين ! ويظهر أن فى عود الضمير من (بها) إلى الوجوه - مراداً بها الذوات - شبه استخدام . ولم أر من نبه عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٦] (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ)

[٢٧] (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ)

[٢٨] (وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ)

[٢٩] (وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ)

[٣٠] (إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)

« كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ » أى بلغت النفس أعلى الصدر . وإضممارها ، وإن لم يجر لها ذكر ، لدلالة السياق عليها ، كقول حاتم :

أماوى مَا يُغْنِي الرَّاهِ عَنْ الْفَتَى إِذَا حُشِرَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
قال الرازى : يكفى ببلوغ النفس التراقى ، عن القرب من الموت ، ومنه قول دريد
ابن الصمة :

ورب عزيمة دافعت عنها وقد بلغت نفوسهم التراقى
ونظيره قوله تعالى (١) : (حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُمُومَ) . « وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ » قال (٢)
ابن جرير : أى وقال أهله : مَنْ ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به ، وطلبوا له الأطباء والمداوين ،
فلم يغنوا عنه من أمر الله الذى قد نزل به شيئاً . أى فلا استفهام بمعنى الطلب لراقٍ أو طبيب .
وجوز كونه بمعنى الإنكار ، بأساً من أن يقدر أحد على نفعه برقية أو عوذة .
لطيفة .

قال الواحدى : إن إظهار النون عند حروف الفم لحن . فلا يجوز إظهار نون (مَنْ) فى
قوله (مَنْ رَاقٍ) . وروى حفص عن عاصم إظهار النون فى قوله (مَنْ رَاقٍ) و (بَلْ رَانَ)
قال أبو على الفارسى : ولا أعرف وجه ذلك . قال الواحدى : والوجه أن يقال قصد الوقف
على (مَنْ) و (بَلْ) فأظهرهما . ثم ابتدأ بما بعدها . وهذا غير مرضى من القراءة . انتهى
نقله الرازى .

« وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ » أى وأيقن الذى قد نزل ذلك به ، أنه فراق الدنيا والأهل والمال .
« وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ » أى التوت ساقه بساقه ، فلا يقدر على تحريكها . وقيل : هما
ساقاه ، إذا التفتا فى الكفن . وقيل : الساق عبارة عن الشدة ، كما مر فى سورة (القلم) .
والتعريف للعهد أيضاً .

قال الشهاب : فإن قلت : ما مرّ هو الكشف عن الساق ، ووجهه ظاهر ، لأن المصاب
يكشف عن ساقه ، فكيف ينزل هذا عليه ؟
قلت : الأمر كما ذكرت ، لكنه شاع فيه ، ففهم ذلك من الساق وحده ، حتى صار

(١) [٥٦ / الواقعة / ٨٣] .

(٢) انظر الصفحة رقم ١٩٤ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

عبارة عن كل أمر فطبيع - كما أشار إليه الراغب - انتهى .
 «إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسَاقُ» أى سوقه إلى حكمه تعالى .
 القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣١] (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ)

[٣٢] (وَلَا كَانَ كَذِبًا وَتَوَلَّىٰ)

[٣٣] (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ)

[٣٤] (أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ)

[٣٥] (ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ)

[٣٦] (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى)

[٣٧] (أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَىٰ)

[٣٨] (ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ)

[٣٩] (فَجَعَلَ مِنْهُ الْزَوْجَيْنِ الْأُنثَىٰ)

[٤٠] (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ)

« فَلَا صَدَقَ » أى بالدين والكتاب . أو صدق ماله ، أى ما زكاه « وَلَا صَلَّىٰ » أى الصلاة التى هى رأس العبادات ، التى سها عنها . « وَلَا كَانَ كَذِبًا » أى بدل التصديق « وَتَوَلَّىٰ » أى بدل الصلاة التى بها كمال التوجه إلى الله تعالى « ثُمَّ » أى مع هذه التصويرات فى جنب الله تعالى « ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ » أى يتبختر فى مشيته . وأصله (يتمطط) أى يتمدد ، لأن المتبختر يعد خطاه .

تنبيهات

الأول - الضمير فى الآيات للإنسان المتقدم فى قوله تعالى (أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ) .

الثاني - قال الرازي : إنه تعالى شرح كيفية عمله فيما يتعلق بأصول الدين وفروعه ، وفيما يتعلق بدنياء . أما ما يتعلق بأصول الدين فهو أنه ماصدق بالدين ، ولكن كذب به . وأما ما يتعلق بفروع الدين فهو أنه ماصلي ، ولكنه تولى ، وأعرض . وأما ما يتعلق بدنياء ، فهو أنه ذهب إلى أهله يتمطى ويختال في مشيته .

الثالث - دلت الآية على أن الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة ، كما يستحقهما بترك الإيمان .

الرابع - قال الرازي : قال أهل العربية : (لا) ههنا في موضع (لم) فقله : (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى) أى لم يصدق ولم يصل ، وهو كقوله ^(١) (فَلَا أُقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) أى لم يقتحم . وكذلك ما روى ^(٢) : أرأيت من لا أكل ولا شرب ولا استهل . قال الكسائي : لم أر العرب قالت في مثل هذا كلمة وحدها ، حتى تتبعها بأخرى ، إما مصرحاً بها ، أو مقدرأ . أما المصرح ، فلا يقولون لا عبد الله خارج ، حتى يقولوا ولا فلان ، ولا يقولون مررت برجل لا يحسن ، حتى يقولوا ولا يجمل . وأما المقدر فهو كقوله (فَلَا أُقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) ثم اعترض الكلام فقال (وَمَا أَذْرَكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكْ رَقَبَةً أَوْ إِطْعَمْ) وكان التقدير : لا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً ، فاكتفى به مرة واحدة . ومنهم من قال : التقدير في قوله (فَلَا أُقْتَحَمَ) أى أفلا اقتحم ، وهلا اقتحم . انتهى « أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى » أى ويل

(١) [٩٠ / البلد / ١١] . (٢) يشير إلى الحديث الذى أخرجه البخارى في صحيحه في :

٧٦ - كتاب الطب ، ٤٦ - باب الكهانة ، حديث رقم ٢٢٦٩ ، عن أبي هريرة ، ونصه : أن رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هذيل اقتتلتا ، فرمت إحداها الأخرى بحجر فأصاب بطنها وهى حامل ، ففتات ولدها الذى فى بطنها . فاخصموا إلى النبي ﷺ فقضى أن دية ما فى بطنها غرة : عبد أو أمة . فقال ولّى المرأة التى غرمت : كيف أغرم يارسول الله من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ، ومثل ذلك بطل ؟ فقال النبي ﷺ : إنما هذا من إخوان الكهّان .

لك مرة بعد مرة . دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه ولاء متكرراً متضاعفاً .
 وقيل : المعنى بُعْداً لك ، فبعداً في أمر دنياك ، وبعداً لك فبعداً في أمر أخراك - حكاية
 الرازي عن القاضي - ثم قال : قال الففال : هذا يحتمل وجوهاً :
أحدها - أنه وعيد مبتدأ من الله للكافر .

والثاني - أنه شيء قاله النبي ﷺ لعدوه - يعني أبا جهل - فاستنكره عدو الله لعزته
 عند نفسه ، فأنزل الله تعالى مثل ذلك .

والثالث - أن يكون ذلك أمراً من الله لنبيه بأن يقولها لعدو الله ، فيكون المعنى : ثم
 ذهب إلى أهله يتمطى ، فقل له يا محمد : أولى لك فأولى ، أى احذر ، فقد قرب منك ما لا قبل
 لك به من المكروه . انتهى والأظهر هو الأول - .
 لطيفة :

تفسير (أَوَّلَى لَكَ) بـ (ويل لك) قال الشهاب : هو محصل معناه المراد منه ، فإنه مثله ،
 فيرد للدعاء عليه ، أو للتهديد والوعيد .

وعن الأصمى أنها تكون للتحسر على أمر فات .
 هذا هو المعنى المراد بها . وأما الكلام في لفظها فتقيل : هو فعل ماض دعائي من (الولى)
 واللام مزيدة . أى أولاك الله ما تكرهه . أو غير مزيدة ، أى أدنى الهلاك لك . وقريب منه
 قول الأصمى : إن معناه قاربه ما يهلكه أن ينزل به . واستحسنه ثعلب .

وقيل : إنه اسم وزنه (أفعل) من الويل ، فقلب . وقيل فعلى ، ولذا لم ينون . ومعناه
 ما ذكر ، وألفه للإلحاق لا للتأنيث . وعلى الاسمية هو مبتدأ ، و (لك) الخبر . وقيل : إنه
 اسم فعل مبني ، ومعناه وَلَيْكَ شر بعد شر .

ونقل الزمخشري عن أبي علي أنه علم لمعنى الويل ، وهو غير منصرف للعلمية ووزن
 الفعل . وقيل عليه : إن الويل غير متصرف ، ومثل (يوم أبوم) غير منقاس ، ولا يفرد عن
 الموصوف . وادعاء القلب من غير دليل ، لا يسمع ، وعلم الجنس خارج عن القياس . فاذا كرر بعيد
 من وجوه عدة . وقيل : الأحسن أنه أفعل تفضيل خبر لمبتدأ يقدر كإليق بمقامه . فالتقدير هنا :

النار أولى لك . يعنى : أنت أحق بها ، وأهل لها . انتهى .
« أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى » أى : هملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يجازى ،
مع أنه الإنسان الذى أودع العقل وعلم البيان ، وغرز فى طبعه أن يعيش مجتمعاً ، وخص من
المواهب ما فضل على غيره . فن تمام الإحسان إليه إنقاذه من حيرته ، وإعلامه بسبيل هدايته ،
وأن لا يترك خابطاً فى متائمه جهالتة ، وقد كان ذلك بفضل الله ونعمته ، كما أشار لذلك بقوله :
« أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ نُفُوسٌ مِّنْ مَّيِّمٍ يُمْنَى » أى يصب فى الرحم .
« ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ » أى دماً « فَخَلَقَ » أى قدر أعضائه « فَسَوَّى » أى سوى تلك
الأعضاء لأعمالها وعدلها .

« فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ » أى الصنفين « الذَّكَرَ وَالْأُنثَى » أى لبقاء نوعه ، يعمر
الدنيا إلى الأجل الذى كتبه وقدره .
« أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى » أى فيوجدهم بعد مماتهم لعارة الآخرة .
وقد روى أن النبى ﷺ كان إذا قرأها قال : سبحانك ، فبلى - رواه أبو داود عن رجل
من الصحابة . ورواه أيضاً عن أبى هريرة بلفظ : من قرأ (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ) فأنتهى إلى
(أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) فليقل : بلى . ورواه الإمام أحمد
والترمذى أيضاً - والله أعلم - .

بحمده تعالى وعونه ، كمل هذا الجزء فى أوائل محرم سنة ١٣٢٧

بمزلنا فى زقاق الكتبي ، فى خط قصر حجاج

ظاهر باب الجابية . على يد جامعه وكتابه

الحقير محمد جمال الدين القاسمى

الدمشقى

تم الجزء السادس عشر ، وبليه إن شاء الله ، الجزء السابع عشر ،

وفيه تفسير ما بقى من سور الكتاب الكريم

فهرس السور المفسرة فى هذا الجزء

رقم الصفحة	رقم السورة واسمها	رقم الصفحة	رقم السورة واسمها
٥٨٥١	٦٦ - سورة التجرىم	٥٦٤٥	٥٦ - سورة الواقعة
٥٨٧٤	٦٧ - سورة الملك	٥٦٧٠	٥٧ - سورة الحديد
٥٨٩١	٦٨ - سورة نّ	٥٧٠٤	٥٨ - سورة المجادلة
٥٩١٠	٦٩ - سورة الحاقة	٥٧٣٣	٥٩ - سورة الحشر
٥٩٢٣	٧٠ - سورة المعارج	٥٧٥٧	٦٠ - سورة المتحنّة
٥٩٣٢	٧١ - سورة نوح	٥٧٨٠	٦١ - سورة الصف
٥٩٤٢	٧٢ - سورة الجن	٥٧٩٦	٦٢ - سورة الجمعة
٥٩٥٧	٧٣ - سورة الزّمل	٥٨٠٦	٦٣ - سورة المنافقون
٥٩٦٩	٧٤ - سورة المدثر	٥٨١٧	٦٤ - سورة التغابن
٥٩٨٧	٧٥ - سورة القيامة	٥٨٢٨	٦٥ - سورة الطلاق